

لقاء قناة الفرات بالدكتور إبراهيم الجعفري  
2007/6/28  
(حوار الحضارات)

**المقدم: أيهما أقرب إلى الواقع العالمي اليوم الصراع أم الحوار الحضاري؟**

**الجعفري:** عندما نتناول مفهوم الحضارة كمفهوم مجرد عن التسييس، وتدخل القوى التي تحاول توجيه الحضارة وجهة سياسية معينة.. فنحن نتناول مجموعة سلوكيات ومظاهر تنطوي من الناحية الاجتماعية والفكرية والعاطفية والأسرية والسياسية على مجموعة مفاهيم وأفكار وعقيدة، وتنطلق من الإنسان، وتستهدف منفعة الإنسان بعيداً عن التسييس، أما ما بدأ يطفو على سطح بعض الدول بتوجيه بوصلة الحضارات إلى عملية صراع أيديولوجي مثل ما انتهى إليه "صاموئيل هنتكتون" في كتابه (صدام الحضارات)، وانتهى إلى أنه بعد اندحار الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة ستواجه الحضارة الأميركية الليبرالية صراعاً في مقابل الكونفوشيوسية والإسلام، وهذا تحميل لمفهوم الحضارة.

إذا أخذنا الحضارة كاشتقاق لغوي فهي من الحضر مقابل البدو، والإنسان عندما يكون متحضراً ومتفهماً يعكس ثقافة، أما تحميل مفهوم الحضارة بأن الاختلاف هو صراع فهو بعيد عن المفهوم الإنساني كل البعد.

**المقدم: هناك من يقول: إن حوار الحضارات وُجد أساساً لمقابلة صراع الحضارات .. كيف تعلق؟**

**الجعفري:** حوار الحضارات سبق صراع الحضارات، فصراع الحضارات ظهر عندما كتب (صاموئيل هنتكتون) كتابه المعروف بـ (صدام الحضارات) وسبقه (فرانسيس فوكو ياما) عندما كتب الإنسان الأخير، ونهاية التاريخ قبل عام 1989، والإسلام سبق هؤلاء وأعطى فكراً لمفهوم الحضارة، وكيفية إدارة الحوار الحضاري، قال تعالى: ((يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم)).

وقدم لنا مجموعة من العناصر التي تشكل بمجموعها المحتوى الحضاري والثقافي؛ لإنشاء الحضارة، وكيفية الحوار بين الحضارات الأخرى، فحينما قال: ((إنا خلقناكم من ذكر وأنثى)).

نفى أي شكل من أشكال التسيّد الجنسي ونشوء البطريركية في العالم الغربي التي أدت إلى غياب وتغييب المرأة واختزالها بل وإقصائها من المؤسسات كافة فيما يقف الإسلام معتمداً على المرأة إلى جانب الرجل بالمفهوم الأسري والمفهوم الاجتماعي والمفهوم السياسي..

وجعل الاختلاف الجنسي مدعاة للتعارف وتشغيل منظومة التفكير الإنساني لا للتغالب والإقصاء.. وقال: ((إن أكرمكم عند الله أتقاكم)).

فجعل التنافس الحضاري هو بالارتقاء على سلم الحضارة فمن كان تقياً أي صادقاً وعادلاً وأميناً ومسيطرأ على شهواته، ويخدم الآخرين فهو من يكون متحضراً، فالإسلام دحض كل النظريات التي تقوم على أساس أن الحضارة تقوم على التسيد العنصري، (نحن شعب الله المختار)، أو اللوني (نحن الجنس الأبيض مقدمون على الجنس الأسود)، أو طبقة العمال البروليتاريا كل هذه دحضها، وجعل الباب مفتوحاً أمام الإنسان والأمة التقية التي تقدم مزيداً من العطاء والخير، وتستطيع أن تتجاوز كل أشكال التمييز، وترتقي، وتتقدم كما تقدم بلال الحبشي الذي كان مرفوضاً في العرف الجاهلي.

**المقدم: هل إن ظواهر الحروب والأزمات الصراعية تنعكس على حرف الكثير من التوجهات الحضارية عن مسارها الإنساني إلى ممارسات وقائية مضادة؛ فيصبح هناك صراع أكثر من الحوار.. ماذا تقول فيه؟**

**الجعفري:** الخلفية الفكرية لبعض مفكري الغرب تقضي بفهم الاختلافات على أنها صراع، فمثلاً (تشارلز دارون) يعكس لنا من خلال نظريته بتفسير أصل الإنسان وما شاكل ذلك على أنه صراع بين المخلوقات والبقاء للأقوى؛ ففسر الصراع والتطور البشري بايولوجياً أو حيويأ على أساس أنه اختلاف بين المركبات البايولوجية، وفهم الاختلاف على أنه صراع وحرب، أما (هيجل) فقد فهم الاختلاف في الآراء بأنه صراع جدلي، وصراع الأفكار عكسه (كارل ماركس) إلى صراع الطبقات، طبقة البروليتاريا (طبقة العمال) مع الآخرين، و(هربرت سبنسر) اعتبره صراع المجتمعات، إلى أن جاء (صاموئيل هنتكتون) الذي فهم الاختلافات على هذا الأساس.. إذن من هذه الخلفية الفكرية اعتبرت تلك المجتمعات من يختلف معها طرفاً في حرب، وليس طرفاً في الحوار؛ لذلك كانت الحروب التي نشأت من عقدة التسيد كالحروب الصليبية، أو القومية كما حصلت واجتاحت أوروبا فرنسا وبريطانيا حرباً دامت مائة وست عشرة سنة والتي تسمى حرب المائة عام..

لا يوجد مثل هذه الخلفية السيئة في الإسلام فهو يحتضن الآخر، ويعتبر الاختلاف مدعاة للتعارف والتنافس والحوار... الإسلام في فكره وحركيته العامة ينتمي إلى الأسرة الإنسانية، ولا يميز بين أحد وآخر.

**المقدم:** يقول مفكرو الغرب: إنهم غير متفانلين بالدعوة إلى الحوار والتفاهم؛ لأنها دعوة غير مثمرة، ولأن الإدارات الرسمية مع الصراع.. هل هم صنعوا الواقع الغربي بذلك الحال؟

**الجعفري:** من غير الصحيح أن نختزل الفكر في مجتمعية معينة، ومن غير الصحيح أن نختزل المجتمعية في إدارة معينة، وتسييس الفكر والحضارة يؤدي إلى تداعٍ مجتمعي خطير، كما أن الفكر من حيث هو لا يتحمل جريرة معتنقه إذا أساء فهمه وتصرف بشيء من الاستبداد أو القمع أو الإرهاب أو الاضطهاد، أو تسيد، أو ضم بلداناً إلى بلدان أخرى، وإذا أردنا أن نحكم على مجتمعات الغرب من خلال تفشي ظواهر الإرهاب والقتل والإدمان وانهلال الأسرة لن نعترف بها، فالواجب أن نكون منصفين، ونناقش الفكر بما هو فكر، ونناقشه بما فيه من إمكانية تطبيق.

أعتقد أن الفكر الإسلامي، وما أنتج من حضارة برهن بما لا يدع مجالاً للشك أنه جدير بالتعاش مع الآخرين؛ لأن حضارته لم تعمل على قمع الآخرين، وإلغائهم، بل عملت على الحوار:

((قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء)).

أي: لنجلس ونتحاور وفق مبدأ:

((إنا أو إياكم لعلى هدًى أو في ضلال مبين)).

لنتحاور بمضامين حضارية، ونفهم بعضنا البعض الآخر ونترك التنظير لصراع الحضارات وهذا الكلام لا نقوله من موقف ضعف بل من نظرة إنسانية خالصة تتبنى العيش الإنساني المشترك المبني على التعارف وقبول الآخر...

ليس في ديننا (الإسلام) تنظير يحذر المسلمين من الأمم الأخرى التي تختلف معنا قومياً أو دينياً أو مذهبياً، وليس في الإسلام دعوة إلى تحديد هوية الصراع بل دعوة إلى تحديد هوية الحوار منطلقاً من مشتركات بين الحضارات، وهي إنسانية في الأصل الوجودي في هذه الحياة؛ لأن الإنسان هو القيمة وهو الهدف وهو الوسيلة..

في فجر التاريخ الكثير من الذين شكلوا في وقتٍ ما مهد الحضارات، كانوا يتقاربون مع بعضهم على الرغم من عدم التقائهم، ولو رجعت إلى التاريخ من ستمائة إلى أربعمائة وثمانين قبل ميلاد المسيح (عليه السلام) لوجدت خمسة جادت بهم كف القدر في ذلك الوقت وهم: (كونفوشيوس، وفيثاغورس، وأشعيا الثاني، وزرادشت، وبوذا) لم يكن بين هؤلاء لقاء، لكن وجدت مضامين إنسانية مشتركة، فقد ذهب هؤلاء، وبقيت آثارهم والتي فرضت نفسها على الساحة الدولية وماتزال قائمة حتى الآن، مات كونفوشيوس قبل 2500 سنة وجزء كبير من العالم كنفوشيوسي، وقرابة خمس العالم بوذي، وأكثر من مليار وربع المليار يدينون بالإسلام.. إذن هناك مجال لتحرك هذه المفاهيم، وانطلاقها لخدمة الإنسان..

الحوار دليل على وجود دينامية حركية منبثقة من الإنسان، وتنعكس على نظامه السياسي خصوصاً والحياتي بشكل عام فمن غير الصحيح أن نجمد حركة التاريخ في

الجانب الحضاري، كما قال فرانسيس فوكوياما بنهاية التاريخ.. فمتى بدأ التاريخ حتى ينتهي؟ من قال من كان الإنسان الأول حتى نقول إننا الإنسان الأخير، وقال هيجل عام 1800 وبرهن للعالم أنه كلما مضينا في التأريخ كانت حركة التأريخ أكثر حدة وكان منحني الصعود والتغيير أكثر بكثير من السابق..

صحيح أن الغرب تفوق علينا في بعض الصناعات لكن هذا لا يعني أنه تفوق علينا في الحضارة، فالحضارة غير المدنية، الحضارة فيها مفهوم عقدي وفيها فهم معنوي، والظاهرة الحضارية تختلف عن الظاهرة المدنية، فالمدنية تتطور بالآلة أما الظاهرة الحضارية فتعكس فهماً معنوياً للحياة.

**المقدم:** قام الرئيس الأميركي جورج بوش بزيارة للمركز الإسلامي في واشنطن، واستحدث منصب مبعوث الولايات المتحدة الأميركية لمنظمة المؤتمر الإسلامي.. هناك من يقول: إن هذه الخطوة هي لتحسين صورة واشنطن في نظر العرب والمسلمين... كيف تقيمون هذه الخطوة، وأين تضعونها في مسار الحوار الحضاري بين الشرق والغرب؟

**الجعفري:** نحن نعتبر أن هذه الخطوة إيجابية، لكن يجب أن تليها خطوات أخرى، ولننظر إلى القضية من خلال كلي أفقي واسع وعمودي تأريخي وهو أن هناك ثقافة حذر وشك وريبة من وجود المسلمين في بلدان الغرب، وما إن يكون هناك عمل إجرامي معين إلا واتهم المسلمون كافة بأنهم إرهابيون، وهذا حرام وظلم، لأن الكثير من المسلمين أنفسهم كانوا ضحية الإرهاب وعندما حدثت اعتداءات أيلول/سبتمبر في نيويورك وواشنطن، ووجدنا المسلمين في كل العالم قد عبروا من خلال منابرهم ومؤسساتهم وفصائليتهم والسبل الأخرى عن شجبهم واستنكارهم واستيائهم وتعاطفهم مع الأمة الأميركية..

أعتقد أن خطوة الرئيس الأميركي جيدة لكن يجب أن تلتحقها خطوات أخرى باتجاه المسلمين، وتكون هناك ثقافة، وإعلام يعمل على تقليص الفجوة، ويشعر المواطنون في كل مكان أن المسلم إنسان مسالم كما هي طبيعته.

**المقدم:** هل لهذه الدعوة صدى إيجابي في المشرق العربي، والمسلمين عموماً؟

**الجعفري:** بالتأكيد سينظر إليها أبناء الأمة الإسلامية في مختلف مناطق العالم بنظرة إيجابية، ولكن ربما يكون هناك شيء من الحذر؛ لأن البعض قد يفسرها بأنها جاءت في حالة أزمة.. وفي تقديري عندما يكون هناك إصرار على إعطاء المزيد من الإيجابيات، وإثبات حسن النية، والاستمرار في خطوات لاحقة على أكثر من صعيد، ومراعاة حقوق المسلمين سواء كانوا في البيت الغربي أو في بلدانهم أن هذا من شأنه أن يبدد المخاوف.. تحتاج الولايات المتحدة إلى خطوات عملية حتى تبدد هذا الانطباع، وتنتشر

ثقافة جديدة، وتبرهن للعالم الإسلامي والعالم في الشرق كله بأنها لا تنطلق انطلاقاً عنصرية، ولا تريد أن تتسيد على أحد.

**المقدم:** يعتبر المفكر (صامويل هنتكتون) صاحب كتاب (صراع الحضارات) وكتاب (من نحن) أن الإسلام ليس تحدياً أساسياً أدى إلى تراجع شعور الأميركيين بهويتهم الوطنية في العقود الأخيرة، لكنه يرى أن العداء للإسلام والحضارة الإسلامية قد يساعد بشكل كبير في تحقيق التفاف الأميركيين حول هويتهم الوطنية في المستقبل المنظور.. هل هذه الأطروحات تعكس وجود أزمة حقيقية في فهم آليات الحوار المفترض بين الشرق والغرب؟

**الجعفري:** على الرغم من تخفيف خطابه بما بدأ به في (صدام الحضارات)، وانتهى به إلى (من نحن) إلا أنه ما يزال فيه تجنّب كبير على الإسلام، وأنا لا ألومه؛ لأنه لم يعِ عمق الفكر الإسلامي، لكن يُلام على أنه ينظر بهذه الطريقة، ويحكم على الخلافات الموجودة بين المسلمين، ونظرتهم إلى الآخرين، وعلى بعض الممارسات الاستثنائية، ويفسرها بخلفية عدوانية فيما تجد المسلمين في أي مقطع من مقاطع التاريخ، وفي أي بلد من بلدان العالم عندما يتواجدون في مكان ما ينشرون العلم والحب والمعرفة، ولماذا لم يحكم بالعدوانية على بعض القادة الذين شعلوا فتيل الحرب، وهم ينتمون إلى الكاثوليكية فكرياً وعقيدة؟ أعتقد أن على الكاتب أن يتحلى بالجرأة أكثر، وعليه أن يبحر في عالم المعرفة أكثر، ويقرأ الإسلام من مصادره الصحيحة، ويقرأ التجربة الإسلامية عبر التاريخ وأنا متأكد أنه سيجد في الإسلام معيناً لا ينضب من المعرفة، واحترام حقوق الإنسان، ومثل هذا الأمر وجدته أيضاً في فرانسيس فوكوياما عندما كتب (الإنسان الأخير)، و(نهاية التاريخ)، و(الثقة)، ثم كتب (الصدمة الكبرى)، وجدت تحولاً إيجابياً على الرغم من أنه لا يزال بعيداً؛ لأنه قرأ الإسلام قراءة أكاديمية.. في عقيدتي أجد أن هؤلاء لو اطلعوا على الإسلام جيداً لوجدوا فيه نظرية رائعة وحضارة رائعة تتحاور مع الآخر، ولا تلغي الآخر، ولا تقصيه أبداً.

**المقدم:** يقولون الكتاب العرب والمثقفون المسلمون: إن الحوار مع الغرب سيؤدي إلى ضياع الهوية الثقافية الدينية والوطنية، ويؤدي إلى تنصير المسلمين.. كيف تعلق على ذلك؟

**الجعفري:** هذا غير صحيح.. عندما نتحاور، فنحن نتحاور من موقع الثقة ووعي الذات والآخر، وننطلق من الدليل والبرهان في إثبات الحق، وإطلاق الحجة كما يقول الله تعالى:

((قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين)).

ثم كيف يمكنك التأثير في الآخر من دون أن توجد معه علاقة حوار، وعلينا أن ننطلق من الخلاف مع الآخر، ونجعله مدعاة للحوار، وليس مدعاة للانغلاق، أما الخوف من فقدان الهوية فهذا الخوف متأث من ضعف المحاور لا الحوار فقد حاور الله - تبارك وتعالى - إبليس في القرآن الكريم، وإبليس يسأل، والله ( تبارك وتعالى ) يجيبه؛ لذا أصبح الحوار سمة الإنسان المتحضر الذي يحل محل التشتات والتلاعن والتحاور بالرصاص والتفجيرات وما شاكل ذلك.

وكلما امتد الحوار سادت عملية الثقافة، وفهمنا بعضنا البعض، وكان الحوار مدعاة للتعايش بين المسلمين وغيرهم، كما أن الحوار يؤدي إلى تعميق الهوية، وليس التنازل عنها، وهو عين الهوية الفكرية الصحيحة.

**المقدم: بعد أحداث الحادي عشر من أيلول (أحداث تفجير مبنى التجارة العالمي في الولايات المتحدة) اقترنت نظرة الغرب للإسلام بأنه دين متشدد يؤدي إلى الإرهاب، والقتل.. لم سادت هذه النظرة في الأجواء الرسمية وغير الرسمية لدى الغرب؟**

**الجعفري:** هذه نظرة مجتزأة اقتصرت على أن الأحداث التي حصلت في 11 أيلول/سبتمبر 2001 ارتكبتها جُناة من خلفيات إسلامية فأصبح الإسلام ديناً عدوانياً، وأصبح المسلمون كلهم عدوانيين، وهذا اعتبره اجتزاء غير مسموح به، وخطأ كبيراً بحق المسلمين؛ لأن المسلمين هم في بلدانهم ضحية الإرهابيين، ولينظروا إلى العراق سيرون اللون الأحمر طاغياً، ويرون الدم العراقي يتدفق وتتطاير أشلاء الأبرياء هل سألوا أو تساءلوا عن سبب ذلك..! من يتسببون بذلك يدعون أنهم مسلمون، والصحيح الذي لا يدخله الشك أن هؤلاء مجرمون يدعون الإسلام، وتعبير أدق (إسلاموية) وليست إسلامية؛ لأن الإسلام يرعى الآخر، وينفتح عليه، ويتعامل معه، فضحايا هؤلاء المدّعين من المسلمين وغير المسلمين على السواء، والدين براء منهم ومن أفعالهم وليس في ديننا الحنيف سوى الإنسانية والعطف ومحبة الآخر مهما اختلفت الرؤى والمعتقدات.. كما أن من الخطأ تعميم حدث ارتكبه مدعون على عامة الجهة التي ينسبون أنفسهم إليها، وفي الوقت نفسه هناك الكثير من الحروب التي شنتها بعض الدول الغربية، وجنت على الآخرين، ولكننا لم نعمم الدائرة، ولم نسقط كل ألمانيا؛ لأن (هتلر) كان عدوانياً، ولا أسقطنا كل إيطاليا؛ لأن (موسوليني) كان إيطالياً؛ لا نقول بهذا الرأي؛ لأن فيه تجنياً على الحقيقة.

لقد تعامل المسلمون من خلال المرجعيات الدينية ومراكز القرار مع تلك الأحداث بشكل متحضر، وشجبوا، وأعربوا عن أسفهم وتعاطفهم مع الأمة الأميركية؛ فمن الخطأ أن نختزل الأمة بحفنة من القتلة والمجرمين، وإذا أردنا أن نحكم على أمة من خلال مجموعة فيجب أن نختار أروع وأحسن وأفضل مجموعة؛ حتى نقول: هؤلاء بأخلاقهم وبسماحتهم هم الذين يمثلون الإسلام، ويمثلون الأمة الإسلامية، لا أن نختزل أمة إسلامية بمجموعة شاذة عانت الأمة الإسلامية نفسها منهم.